

1^{er} Congrès International du Soufisme au Féminin
ÉVEILLER LA MÉMOIRE, ÉCLAIRER L'AVENIR

1st International Congress on Feminine Sufism
AWAKEN MEMORY, LIGHT THE FUTURE

10-11 06 2026



توظيف «الحركة النسوية» للتصوف النسائي

د. طارق الحمودي - المغرب

التصوف النسائي

كان السلمي قد وضع كتابا في تاريخ رجال التصوف، وطبع الكتاب، وطبعت معه رسالة أخرى خاصة بالنساء بعنوان: «ذكر العابدات»، وكانت أولاهن رابعة، أم عمرو بنت إسماعيل العتكية العدوية البصرية (ت ١٣٥ أو ١٨٠هـ)، فهي تعد «المثال» النسائي الأظهر والأحرى بالاهتمام، وقد أُلّف في ترجمتها جزءا مفردا ابن الجوزي، ثم تلقفت الروايات والحكايات عنها الأيادي الاستشرافية تقبلها بحثا عن «معاهد التوظيف»، فكتبت مارغريت سميث كتابا بعنوان: Muslim women mystics، ثم كتبت آن ماري شيمل «روحي أنثى»، وخصّت التصوف النسائي بفصل، دار جلّه حول رابعة، وكان من أغراض ذلك تقديم «نموذج ليبرالي علماني»

مختلف للمرأة في الإسلام، يدافع به «النموذج الإسلامي السلفي»، ولذلك تخفف الباحثون المستشرقون من جل القيود العلمية، لكي يجدوا فسحة للترويج لمشروع «التمرد» على «الوحي والشرع»، فاستعملوا لأجل ذلك كل الروايات الخادمة لمقاصدهم التي استطاعوا الوقوف عليها في كتب التراث، دون تثبت ولا مراجعة!

العدوية... والصورة المشوهة

إن من أشد ما يواجه المستشرقين وهم يحاولون التقاط الروايات التاريخية والمقالات، واستثارة الجوانب الوظيفية فيها، أن المنهج الذي رويت به هذه الروايات، وجمعت وصنفت، منهج يعتمد على النقد المركب من نقد خارجي متعلق بالإسناد، ونقد داخلي متعلق بالمضمون، ولم يجد المستشرقون، لعدم أهليتهم في ذلك، ولعدم مناسبتهم لمقاصدهم، إلا أن يتخطوا كل ذلك في محاولة للتدليس، ومع ذلك فقد اعترفوا بأنهم كانوا دائما أمام كمية من الأساطير والروايات الخرافية، فاستعملوها بلوهم، فلم يكن لهم من سبيل إلا ذلك، ومنه أنه ينسب إليها أقوال ربما

1- «Muslim women mystics: the life and work of Rābi'a and other women mystics in Islām» Muslim women mystics the life and work of Rābi'a and other women mystics in Islām. oneworld-2001.

هي لغيرها مثل: «أستغفر الله من قلة صدقي في قولي: أستغفر الله»، فقد نسبها المؤرخ المحقق الذهبي إلى رابعة الشامية، وقال: «قد تدخل حكايات هذه في حكايات هذه»^(٣)، وليت الأمر وقف هنا، فإن هذا الموضوع مظنة التدسيس والتدليس، خاصة من دعاة الزندقة والإباحية.

من العبارات العجيبة في هذا، قول أن ماري شيمل: «نسج حول رابعة البصرية الأمة المعتقدية ما لا يعد من النوادر»^(٤)، والمستنكر أنها هي نفسها تنقل بغير تثبت عن العطار وعن قطب الدين بختيار الهندي من متصوفة القرن الثالث عشر الميلادي! وهذه «الخرافية» في الرواية هي ما نبّه عليه من ألف فيها من الباحثين المسلمين، مثل مأمون غريب القائل: «وجدت أن سيرتها مليئة بالأساطير والخرافات التي وضعها الناس عليها»^(٥)، وقال: «والمتابع لحياة رابعة العدوية من خلال كتب التراث يرى فيها تناقضات لا تستقيم مع المنطق»^(٦)، ومن المستنكر أن الدكتور عبد الرحمن بدوي ألف في رابعة كتابه «شاهدة العشق الإلهي»، ولم يُعمل أثناء «التقميش» في الروايات منهج «التفتيش» والتبين القرآني، فبنى كل قراءته وتحليله على روايات مشكوك في صحتها، بل مجزوم بوضعها، وهو الأمر الذي جعل عبد المنعم حنفي يقول: «شخصية أسطورية يختلط فيها الخيال بالواقع، فهل يكون هذا الكتاب الرائع للدكتور عبد الرحمن بدوي أيضا كتابا قد اختلط فيه الخيال بالواقع؟ سنرى»^(٧)، وقد رأيت، ووجدت ذلك.

ما الذي كانوا يبحثون عنه؟

إن الناظر فيما روي عن رابعة العدوية يجده أرضا خصيبة للتوظيف «الباطني» من كل وجه، فقد روي عنها ما يؤوّل فيه المعنى إلى القول «بالحلول» و«وحدة الوجود»، وما يؤوّل إلى «الإباحية» و«التحرر من قيد الشريعة»، وهذان جامعان للمقاصد الكبرى

للباطنية، الكفر بالله والتحلل من الشريعة، من ذلك أنه روي عنها أنها قالت:

إني جعلتك في الفؤاد محدثي... وأبحت جسدي من أراد جلوسي وقد أنكر الذهبي أن يكون هذا من قولها، ففي الشطر الأول حلول وفي الثاني إباحية^(٨)، وأما عند «الموظفين»، سواء كانوا من المتصوفة كما فعل مكي بن أبي طالب^(٩) وصدر الدين القونوي^(١٠)، أو المستشرق أو المستغربة، فإن هذين البيتين وغيرهما من أفضل ما قالته! وعليه وعلى أمثاله مما نسب إليها بنتُ مارغريث سميث دعاها غنوصية رابعة العدوية، ونسبَتها إلى القول بالحلول والفناء الذاتي^(١١).

ومن الروايات «الموظفة» أيضا أنه قيل لها: بم أدركت هذا المقام؟ قالت: «بأن تركت المدركات كلّها، وضيعتها في وجوده»^(١٢)، فهذا واضح صريح في القول بوحدة الوجود، ومنها أن الحسن البصري رحمه الله قال: «كنت عند رابعة يوما وليلة، وكنا نتحدث في الطريقة والحقيقة، ولا يخطر ببالي أني رجل، ولا ببالها أنها امرأة»^(١٣)، وهذا فتح لباب الاستهانة بخلوة الرجل بالمرأة، ولأمر ما نقله عنها فريد الدين العطار المتصوف الوجدوي في تذكّره! ومثل هذا أن أبا سليمان الداراني قال: «بت ليلة عند رابعة، فقامت إلى محراب لها، وقمت أنا إلى ناحية من البيت، فلم تزل قائمة إلى السحر»! وهذا مما تتهم به بعض الطرق الصوفية الوجدوية ذات الأصل الفارسي والتركي، فكيف يجوز لصوفي أن يبيت عند صوفية، يراها قائمة ساجدة! إن هذا إلا كذب.

هناك روايات أخرى مثلها، استخلصها عبد الرحمن بدوي، مثل قول رابعة إن الكعبة صنم معبود في الأرض، بل قالت عادة المقدم: «نال الحج في التصوف معاني رمزية، بل إن بعض الصوفيين تجاوزوا تلك الفريضة وعدّوها شكلية، فقد اعتبرته رابعة العدوية رمزيا، إذ قالت عن الكعبة:

٧- سير أعلام النبلاء، ٢٧٤/٧.

٨ - قوت القلوب، ٩٣/٢، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية.

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٩ - «إعجاز البيان في تفسير أم القرآن»، ص ٢٢٣، تصحيح جلال الدين الأشتياني، بستان

كتاب في قم الإيرانية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

١٠ - ص ١١٣.

١١ - تذكرة الأولياء، ص ١٠٣، ترجمة محمد الأصيلي الوسطاني الشافعي ت ٨٣٦هـ، تحقيق

محمد أديب الجادر.

١٢ - المصدر نفسه، ص ١٠٢.

٢- سير أعلام النبلاء، ٢٤٣/٨، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الرسالة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

٣ - روجي أنثي، ص ٦٤، ترجمة لميس فايد، الكتب خان، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م.

٤ - رابعة العدوية في محراب الحب الإلهي، ص ٦، دار غريب، ٢٠٠٠م.

٥ - المصدر نفسه، ص ٣٤.

٦ - رابعة العدوية إمام العاشقين، ص ١٢، دار الرشد، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ.

١٩٩٦م. وهو للأسف لا يوثق بالصفحة، فيحيل إلى الكتاب فقط!

كتاب الله تعالى، ومع زميلاتها، وقد هزعت جهات وشخصيات «نسوية» مغربية لمؤازرة هذه الجمعية والحرص على الظهور على المنصات، والعجيب أن في المتدخلات نسوة علمانيات قمن يتحدثن بلغة التصوف والروحانية.

في عام ٢٠١٩م أقيم في المغرب مهرجان فاس للثقافة الصوفية، وكان الختم بعروض فنية تحت الإدارة الفنية لكارول لطيفة أمير أيضا، غنيت فيها مقاطع شعرية لابن الفارض والحلاج وابن العربي الحاتمي والعطار... ورابعة العدوية، وسبق لها أن أشرفت أيضا على ليلة موسيقية صوفية في باريس في ماي ٢٠٢٢م بالتعاون مع معهد ثقافات الإسلام الذي ترأسه بارزة خيرى، نائبة الرئيس السابقة لمجلس الشيوخ الفرنسي، ودار ثقافات العالم الذي يرأسه شريف خازندار! إحدى حفيدات جلال الدين الرومي Esin Çelebi Bayru، التي قالت: «رسالة النساء الصوفيات تعني الكثير للإنسانية»^{١٣}، و Hajzi Syed Salman Chishty رئيس مؤسسة «جشتية» التي يذكر أن كارول تنتمي إليها!

المقاصد النسوية

إن كان من عبارة تجمع مقاصد «النسوية» فلعل أنسبها أن يقال: «التمرد على الله بالتمرد على الرجل»، والمقصود بالرجل هنا «الزوج» و «الأب» ومن ناب عنهما نيابة شرعية، فشياطين النسوية يعلمون أن الدعوة إلى التمرد على الرجل إن هي إلا ذريعة للتمرد على الله تعالى وعلى أنبيائه وشرعه، فولاية الرجل وقوامته عليها صادرة من كل ذلك، فيعد الرجل عند النسوية رمزا لحاكمية الوحي والشرعية، ويعد التحرر من الوصاية الشرعية والأخلاقية والطبيعية للزوج على زوجته والأب على ابنته عن التحقيق تحررا من «الله» تعالى، أو الوسيلة العظمى لذلك.

هذا مدخل لما يمكن أن يصير حالة رصد لهذا «التوظيف» للتراث النسائي الصوفي عن طريق «النسبة الموهمة»، جعلت فيه رابعة العدوية مثالا كاشفا، وحينما يكون هذا التوظيف على يد «النسوية» العلمانية فإن الأمر يوجب متابعة عن قرب وبطريقة أعمق، فإن القوم يتواصلون به، وما خفي أعظم.

ذلك الصنم المعبود في الأرض^{١٣}، وأما عبد الرحمن بدوي فخلص بعد النظر فيها إلى إثارة أمر خطير جدا، وهو أن رابعة ربما تأثرت بالدعوات الزندقية التي كانت منتشرة في زمانها، فتسرب ذلك إلى فكرها وظهر على فعلها وأقوالها، فقال: «فرض نسوقه ولا نستطيع تحقيقه بيقين، لكننا لا نرى مانعا جديا في أن تكون قد تأثرت بتلك الأفكار التي أثارتها حركة الزندقة»^{١٤}، وبعيدا عن دعواه، من كان في مصلحته نشر هذه الروايات عن رابعة ؟ فما قاله عبد الرحمن بدوي دليل على أن جهة ما كانت تريد أن توهم الناس أن رابعة تقول بذلك، ليستطيعوا تسريب مقالاتهم عن طريق عملية «النسبة الموهمة»!

ومع طريقة «النسبة الموهمة» هناك تغافل غريب عن مرويات أخرى تنقض مقاصد الموظفين، وهي طريقة «الإهمال والإغفال» لما يعد «على» الموظفين لا «لهم»، مما يعرض صورة مطابقة لما ينبغي عليه أن تكون امرأة عابدة تقصد تحقيق التقوى وتدعو إليها، ومن ذلك ما رواه الخطيب البغدادي عن سري السقطي، قال: «قالت امرأة لرابعة: إني أحبك في الله، فقالت لها: فأطيعي من أحببتني له»^{١٥}.

مؤتمر للتصوف النسوي

سيسجل في التاريخ أن أول مؤتمر للنسوية الصوفية عقد في العالم كان في المغرب عام ٢٠٢٦م، وأن تنظيمه كان بالتشارك بين أكاديمية المملكة المغربية وجمعية صوفية نسائية فرنسية اسمها: walia ong international ، كان ذلك بالتفصيل في ١٠/١١/٢٠٢٦ في الرباط.

والمثير في هذا أن الجمعية النسائية الصوفية فرنسية الأصل، مسجلة عام ٢٠٢٥م في لائحة الجمعيات الفرنسية تحت رقم: RNAW751280445، ورئيستها امرأة تنتمي لطريقة صوفية على أصول جلال الدين الرومي، اسمها كارول لطيفة أمير، متحررة من لباس الشريعة الذي أمرت به في

١٣ - مقدمة غادة المقدم على كتاب صفوة التصوف لابن القيسراني، ص ١١٢، دار المنتخب العربي.

١٤ - شهيدة العشق الإلهي، ص ٨٥، عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٩٦٢م.

١٥ - الزهد والرقائق للخطيب البغدادي، ص ١٠٦ و ١٠٧، رقم: ٧٩، المحب لله هو الذي يطيعه، تحقيق عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.